

في سبيل إحياء الوضع اللغوي

د. أ. قحامي براهيم

جامعة أدرار

تتمحور إشكالية هذا البحث العلمي على مدى أهلية اللغة العربية في (الإثراء الذاتي) بالمصطلحات في ألفاظ الحضارة والعلوم، وذلك من خلال أحد أهم روافدها؛ وهو (الوضع اللغوي)، والذي سنحاول في هذا المقال توجيهه نحو فرضية صناعة الألفاظ، ضمن شروط معينة، أو وفق تدبير محدد. بخلاف المنهج التقليدي في مثله، حيث ينظر إليه كموضوع مغلق في زمن مغلق. الدراسة تأخذ في الاعتبار المعطيات النحوية العتيقة، وتحاول الإفادة من الألسنيات الحديثة، مع الاستنارة في الحالتين بهدي القرآن الكريم، بوصفه (نص لغوي).

تطرح الدراسة مسلكين لتجربة الوضع، بعد عرض آراء من دعوا إلى حق المحدثين فيه. أولهما محاولة استنساخ الكلمات، على سمت خصائص الوضع العتيق.. والثانية وهي الأيسر، توظيف ما يضعه ورثة العربية (لهجات، عامية) وتنقيحه وفق ذات الشروط، لتحصيل كلمات جديدة كلياً، ومن ثم توظيفها للمفاهيم العلمية لا غير..

Résumé:

La problématique de cet article Scientifique, ce concentre sur la compétentivite de la langue arabe, pour enrichir les termes scientifiques. La méthode fondamentale est de reformer ou restructurer les mots littéraires, pour avoir les profiles du terme scientifique.

L'étude prend les données du grammaire arabe classique en considération. Tout en essayant d'adopter les nouvelles règles du linguistique contemporain, sans oublier L'extrapolation et L'inspiration du Coran Sacré.

Pour réaliser une formulation optimale du terme scientifique, on doit étudier la nature des lettres arabe et ces caractéristiques phonétiques, ainsi que les signes sémantiques qui diffèrent selon les formes du mot arabe.

مفتاحيات:

الوضع اللغوي، الاصطلاحية، إحياءات الحروف، الأصوات، مناسبة اللفظ للمعنى، رمز لغوي، الأوزان، التقاليد.

تمهيد:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد..

الوضع موضوع جوهري هو من الأهمية بمكان، لارتباطه بإشكالية أصل اللغة الإنسانية. حتى أنه يغور عند التنقيب إلى أعماق الفكرة اللغوية، وإلى أصل الخليقة. ويطرح في طريقه تساؤلات دون جدوى عن أولية النوع البشري، وأولية اللغة، وما عساه تكون تلك اللغة الأم، وكيف اختلفت الألسن؟ في إشكالات وفرضيات لا يمكن للدرس الحديث التعامل معها، لوقوعها خارج مجال العلم، كما يقول فندريس¹. ولذلك كان مجالا خصيبا للمباحثات والجدل بين الفرقاء في مختلف الحضارات.. وإن كان - بالمقابل - يستجيب لدواعي الفضول العلمي والرياضة العقلية.

¹. اللغة. فندريس. ترجمة: د. الدواخلي ود. محمد القصاص. مطبعة لجنة البيان العربي. القاهرة. 1950. 6.

عادة ما يتناول الباحثون من اللغويين عموماً موضوع الوضع، بشكل ممعن في الأكاديمية، كما يُدرس أي موضوع تراثي عتيق عفا عليه الزمن. من باب ذكر الشيء كي لا ينتسى. وهذا البحث ليس بدعا من ذلك المسلك، ولا يستهين به. وإنما يتعشم - بعد ذلك - أن يفتح باباً عملياً (براغماتياً) إن جاز التعبير، قصد استثمار ظاهرة الوضع، لتحقيق إثراء فعلي لألفاظ الحياة العامة، وصوغ مصطلحات العلوم، في خط إنتاج لا ينضب. ففيم يتجلى الوضع؟ وهل للمحدثين حق فيه؟ وما هي مقوماته وشروطه؟ إلى آخر تعداده من القضايا التي سنحاول التعرّيج عليها بدرجات متفاوتة من خلال هذا المقال.

أولاً: مفهوم الوضع:

وقف ابن جني محتاراً إزاء سحر الوضع، عندما تأمل تلك الدقة المتناهية في نسيج اللغة العربية خاصة، قال: "وأعلم فيما بعد أنني - على تقادم الوقت - دائم التنقير والبحث عن هذا الموضوع، فأجد الدواعي والخوارج قوّة التجاذب لي، مختلفة جهات التغوّل على فكري. وذلك أنني إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة، وجدت فيها من الحكمة والدقة، والإرهاق والرقّة، ما يملك على جانب الفكر، حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر؛ فمن ذلك ما نبّه عليه أصحابنا - رحمهم الله - ومنه ما حدوته على أمثلتهم، فعرفت بتتابعه وانقياده، وبعد مراميه وآماده، صحة ما وفّقوا لتقديمه منه، ولطف ما أسعدوا به، وفُرق لهم عنه. وانضاف إلى ذلك وارد الأخبار الماثورة بأنها من عند الله جل وعزّ، فقوي في نفسي اعتقاد كونها توفيقاً من الله سبحانه، وأنها وحي. ثم أقول في ضدّ هذا: كما وقع لأصحابنا ولنا وتنبهوا وتنبهنا على تأمل هذه الحكمة الرائعة الباهرة، كذلك لا ننكر أن يكون الله تعالى قد خلق من قبلنا - وإن بعد مداه عنا - من كان ألطف منا أذهانا، وأسرع

خواطر، وأجرأ جنانا، فأقف بين تين الخلتين حسيرا، وأكاثرها فأنكفي مكثورا. وإن خطر خاطر فيما بعد يعلّق الكف بإحدى الجهتين، ويكفّها عن صاحبها قلنا به.¹ مع أن معرفة الوضع الأول للغة يرثّن الدرس اللغوي الحديث برمته، وبخاصة ما يتعلق منه بوضع المصطلحات؛ ذلك أن القول بتوقيفية اللغة يفضي إلى إضفاء هالة من القداسة المبالغ فيها على اللغة. ويعزز من موقف المحافظين اتجاه التحديث، بمعنى ما. بينما يفضي القول باصطلاحية اللغة إلى اعتبار اللغة مجرد وسيلة للتواصل، وأنها مرنة وقابلة للتحديث، لتعبر عن متطلبات كل مجتمع في كل عصر..

والمفارقة أن ورثة العربية في الواقع اللغوي يتصرفون عمليا بما يتناسب والفرضيتين معا؛ فتارة يعملون بمقتضى الفرض الاصطلاحي للغة الإنسانية؛ عندما يتصرفون بسخاء وهم يضعون المصطلحات في مختلف العلوم، ويعبرون عن مستجداتها بضروب من الحقيقة والمجاز. وهذا بالضبط ما نحتاج إليه لفتح الباب مشرعا أمام الاصطلاح.

وتارة يتصرفون عمليا بما يتناسب مع الفرض التوقيفي للغة؛ عندما يتصرفون بحرص مع رواية لغات العرب، وضبط الصيغ، وتصويب الملاحن، ويتشدّدون فيمن تُقبل عربيتهم. لكن الأغرب ذلك التحديد للأطر الزمكانية التي حددها للرواية والاحتجاج،² والتي تقبلها الجميع تقريبا، حتى اليوم، كما لو كانت مسلّمة عقلية أو شرعية.

¹. الخصائص. 47/1.

². قبلوا الاحتجاج بأقوال عرب الجاهلية وفصحاء الإسلام، حتى منتصف القرن الثاني، لا فرق بين الحضر والبدو. على اختلاف في درجات الاحتجاج بها، حسب قربها أو بعدها من الاختلاط بالأمم المجاورة، فاعتمدوا لغة القبائل في قلب جزيرة العرب: قريش قيس وتميم وأسد ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين. وردوا لغة القبائل التي على السواحل أو في جوار الأعاجم.. أما الشعراء فقد صُنّفوا أصنافاً أربعة: - جاهليون - مخضرمون - إسلاميون - مولدون بدء ببشار بن برد. وانعقد شبه الإجماع على صحة الاستشهاد بالطبقتين الأوليين. واختلفوا

ومهما يكن من أمر، فإن البحث التاريخي لا يهمننا بقدر ما تعيننا كيفية الإفادة من موضوع الوضع لخدمة الدرس المصطلحي كآلية فعالة. فالوضع لا يعدو أن يكون (جعل رمز لغوي دالا على منتج ما، مادي أو أدبي). على ما يفهم ويؤخذ من تعاريف الباحثين قديما وحديثا. وإن كان يؤخذ على بعضها الإبهام الذي تورثه كلمة (شيء)؛ كما في قول الشريف الجرجاني: "الوضع في اللغة جعل اللفظ بإزاء المعنى. وفي الاصطلاح: تخصيص شيء بشيء، متى أطلق.. فهم منه الشيء الثاني. والمراد بالإطلاق استعمال اللفظ وإرادة المعنى".¹ ربما يقصد الوضع اللغوي بمعنى (وضع اللغة)، لا معنى الوضع في اللغة!² إذ ليس في المادة (و.ض.ع) معنى التسمية. ثم ما (شيء بشيء)؟ فالمنقول آنفا بشقيه إنما هو تعريف اصطلاحى واحد يعوزه الضبط. وقد نقله المناوي حرفيا: "الوضع لغة: جعل اللفظ بإزاء المعنى. واصطلاحا: تخصيص شيء بشيء، متى أطلق فهم منه الشيء الثاني".³ وغير بعيد عنه ما نقل السيوطي عن التاج السبكي على منهاج البيضاوي: "الوضع: عبارة عن تخصيص الشيء

في الطبقة الثالثة. وذهب عبد القادر البغدادي، صاحب (خزانة الأدب) إلى جواز الاستشهاد بها. أما الطبقة الرابعة فلا يستشهد بها في اللغة والنحو والصرف خاصة. وأن آخر من يحتج بشعره، على هذا الأساس إبراهيم ابن هرمة 150هـ، الذي ختم الأصمعي به الشعر. أما أهل البادية، فقد استمر العلماء يدونون لغاتهم، حتى فسدت سلاتهم، حتى القرن 4 هـ. ولذلك أجمعوا على أنه لا يحتج بكلام المولدين والمحدثين في اللغة العربية. ر: - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. البغدادي عبد القادر بن عمر. تحقيق: محمد نبيل طريفي/إميل بديع يعقوب. دار الكتب العلمية. الأجزاء: 13. بيروت. 1998م. 5/1. - خزانة الأدب وغاية الأرب. الأزراي أبو بكر الحموي. تحقيق: عصام شعيثو. الطبعة: الأولى. الأجزاء: 2. دار ومكتبة الهلال. بيروت. 1987. 23/1. - الصاحب. ابن فارس. المطبعة السلفية. القاهرة. 32. - الاقتراح. السيوطي. مطبعة المعارف. حيدرآباد. 1310هـ. 22/1.

¹. التعريفات. 326.

². للمادة (و.ض.ع) في اللغة استعمالات ومعان عديدة؛ كما يستفاد بالاستقراء من بعض المعاجم. من أشهرها الدلالة على الحركة، الإثبات، النفي والإبطال..

³. التعاريف. 727.

بالشيء، بحيث إذا أُطلق الأول فهم منه الثاني.¹ لكن عبارة أبي البقاء الكفوي أدق، قال: "تخصيص اللفظ بالمعنى كما في (التلويع). وقيل: هو جعل اللفظ دليلاً على المعنى. وهو من صفات الواضع. والاستعمال إطلاق اللفظ وإرادة المعنى. وهو من صفات المتكلم. والحمل اعتقاد السامع مراد المتكلم، أو ما اشتمل على مراده. وهو من صفات السامع."²

والوضع بالمعنى المذكور يشتمل عملياً على مجمل آليات الاصطلاح، بما فيها الوضع نفسه؛ إذ الاشتقاق والنحت والجهاز والنقل والترميز والترجمة والتعريب.. تفضي في التحليل الأخير إلى محض الوضع، أي (جعل رمز لغوي دالاً على منتج ما، مادي أو أدبي) وتلك الآليات السبع لا تعدو أن تكون مجرد (استعمال) لألفاظ (موضوعية) وموجودة مسبقاً، من طرف الواضع الأول. وإنما أفردناه بالذكر لنقصد به معنى خاصاً، يجعله قسيماً للآليات الآتية. هو معنى خاص إذ يرتبط بمبدأ الوضع وسر الصنعة فيه. وهو - في آليات الاصطلاح - موضوع مبتكر نسبياً.

يتعلق الأمر بصناعة الكلمة من العدم، بحيث تتألف حروفها بطريقة ما، ومن ثم يتم ربطها بمعنى مناسب من منتجات العلم والحضارة. على غرار ما حدث مع اللغة الأولى على القول بالاصطلاح. ونقدّر بدءاً أن مثل هذا الطرح والتفكير فيه وإعداد شروطه هي مراحل في غاية العسر، بقدر عسر فهم كيفية ميلاد اللغة الأم. ومما يشفع لهذا الطرح مدى التطور العلمي الذي بلغته البشرية اليوم، حتى استطاعت في الطب والبيولوجيا أن تستنسخ بعض صور الحياة في النبات والحيوان! وفعل مثل ذلك مع الأصوات اللغوية يبدو أيسر.

¹. المزهر في علوم اللغة. 34/1.

². الكليات. الكفوي. 934.

إن استنساخ المصطلحات على سنة الوضع المحض قد يحظى بالنجاح. والتطور العلمي في علوم اللغة التراثية والحداثية قمين بأن يوفر الشروط اللازمة بهذا السبيل لتهيئة البنية النظرية المتناسكة. وهو في الجملة داخل ضمن الإمكان العقلي، قال ابن جني "لا ننكر أن يكون الله تعالى قد خلق من قبلنا - وإن بُعد مداه عنا - من كان أطف منا أذهانا، وأسرع خواطر، وأجرأ جنانا.."¹

وشواهد المروية نادرة؛ وقد سعدت كثيرا لوقوعي على شاهد محتمل من القرآن الكريم، وقد كان غلب على ظني أنه خلو من ذلك، استجابة لميزة التيسير تيسير الادّكار فيه. أي أنه من أجل ذلك، لم يبتكر كلمات من العدم، مع أنه تعالى - بطبيعة الحال - على كل شيء قدير. إنها لفظ (سلسيل) من الآية: "عينا فيها تسمى سلسيلاً"² قال ابن الأعرابي: "لم أسمع هذه اللفظة إلا في القرآن. فهو عنده من مبتكرات القرآن الجارية على أساليب الكلام العربي.. ومن المفسرين من جعل التسمية على ظاهرها وجعل (سلسيلاً) علماً على هذه العين، وهو أنسب بقوله تعالى: (تسمى) وعلى قول ابن الأعرابي والجمهور: لا إشكال في تنوين (سلسيلاً)."³

وكالذي يروى عن أبي حاتم أنه سأل أعرابية عن اسم بقلة، ففكرت ملياً، ثم قالت: (تُحْدَق)⁴ ويندرج تحته ما يرتجله المجتمع، في الحياة العامة، أو لدى الحرفيين والتجار والفلاحين والمهندسين وغيرهم من الزمر الفاعلة فيه، ما يرتجله من كلمات بشكل عفوي، مما ليس له أصل في العربية، بحيث تكون الكلمة موافقة للقياس، جارية على سمت العربية. وقد حدث ذلك - على الأرجح - مع اللغة الأم؛ قال ابن

¹. الخصائص. 47/1.

². الإنسان: 18.

³. التحرير والتنوير. 396/29.

⁴. المزهر في علوم اللغة. 34/1.

جني: "لا بدّ أن يكون وقع في أول الأمر بعضُها، ثم احتيج فيما بعدُ إلى الزيادة عليه، لحضور الداعي إليه، فزيدَ فيها شيئاً فشيئاً، إلا أنه على قياس ما كان سبق منها، في حروفه وتأليفه وإعرابه المبين عن معانيه، لا يخالف الثاني الأول، ولا الثالث الثاني، كذلك متّصلاً متتابعاً.. وهذا رأي أبي الحسن، وهو الصواب. وذهب إلى أن اختلاف لغات العرب، إنما أتاها من قبل أن أول ما وُضع منها وضع على خلاف. وإن كان كله مسوقاً على صحّة وقياس، ثم أحدثوا من بعدُ أشياء كثيرة للحاجة إليها، غير أنها على قياس ما كان وُضع في الأصل مختلفاً. وإن كان كل واحد آخذاً من صحة القياس حظاً.."¹

وكالذي تعجب منه الأصمعي إذ قال: "لم نسمع (الحيرم) إلا في شعر ابن أحرمر وله نظائر.. قال ابن جني: والقول في هذه الكلمة ونحوها، وجوب قبولها. وذلك لما ثبتت به الشهادة من فصاحة ابن أحرمر؛ فإما أن يكون شيئاً أخذه عن ينطق بلغة قديمة، لم يشارك في سماع ذلك منه، على حد ما قلناه في من خالف الجماعة، وهو فصيح. كقوله في الذُّرْحُوح: الذُّرْحُوحُ، ونحو ذلك.. وإما أن يكون شيئاً ارتجله ابن أحرمر، فإن الأعراي إذا قويت فصاحته، وسمت طبيعته، تصرف وارتجل ما لم يسبقه أحد قبله به. فقد حكى عن رؤية وأبيه، أنهما كانا يرتجلان ألفاظاً، لم يسمعاها، ولا سبقا إليها. وعلى هذا قال أبو عثمان: ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب."²

¹. الخصائص. 29/2. وأبو الحسن في النقل هو سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط. ر - المزهر في علوم اللغة. 46/1.

². الخصائص. 357/1. و25/2. - المحكم والمحيط الأعظم. ابن سيده علي بن إسماعيل المرسى. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. الطبعة: الأولى. الأجزاء: 11. دار الكتب العلمية. بيروت. 2000م. 330/3. والذرحح: "شيء أعظم من الذباب قليلاً." - العين. (ذرح). حشرة.. تألف نبات البروق، متنوعة الألوان، تظهر في الصيف

وحتى في الأدب الإسلامي، وجد من قادته قريحته إلى ارتجال الكلمة، مع الإبداع والتوفيق في مناسبة اللفظ للمعنى. أقصد مثلاً المتنبي إذ يقول:¹
 إذا سارت الأحداج فوق نباته تفاوح مسك الغانيات ورؤده
 "تفاوح كلمة في غاية من الحسن. وقد قيل إن أبا الطيب أول من نطق بها على هذا
 المثال." يقول ابن سنان في (سر الفصاحة).²

ثانياً- شروط الوضع:

لقد ثبت إمكان ميلاد اللغة، بجهد عفوي، تشايعه حكمة ما، من لطافة ذهن، وسرعة خاطر، وجرأة قلب.. لتتضح أوضاعها الإفرادية والتركيبية في أتون الزمن المتأجج، حتى تغدو كعروق الذهب وكرائم الماس. ويبدو - في المقابل - أن أي محاولة لاستنساخ كلمة، بجهد واع، ونفخ معنى مناسب يتلبسها، ستبوء بالفشل ويتكأدها العنت، وتنجلي عن مسخ صوتي غير مبين! ربما كتلك الكاريكاتوريات المريبة التي تثقل كاهل المعاجم القديمة خاصة.³

استنساخ الكلم ليس مجرد رصف أحرف⁴ كيفما اتفق. وإنما ينبغي تهيئة الشروط العلمية الموضوعية، على المستوى النظري، لضمان قدر صالح من الفعالية في عملية البناء العضوي، على المستوى التطبيقي. على أننا من ذلك كله على خطر..

خاصة بعد هطول المطر، وتقع على الشجر المثمر، يلعب بها الصبيان. ر: حياة الحيوان الكبرى. الدميري.
 511/1

¹. أساس البلاغة. الزمخشري محمود بن عمرو. تحقيق: محمد باسل عيون السود. الطبعة: الأولى. الأجزاء: 2. دار الكتب العلمية. بيروت. 1997. 38/2. (ف.و.ح).

². سر الفصاحة. الخفاجي بن سنان عبد الله بن محمد. ت: 466هـ. الأجزاء: 1. الطبعة: الأولى. دار الكتب العلمية. بيروت. 1982. 65.

³. يسمونها عادة بالغرائب والوحشيات، مثل (دزديس، سجالط، خيتعور، خيدقوق..)
⁴. (أحرف) جمع قلة؛ ولو تعلق الأمر بالمصطلح اللاتيني لقلنا (حروف) بسبب طول الكلمات. أما في العربية فنعماً خصيصة القصد والخفة والسلاسة في مفرداتها..

قال الأستاذ إبراهيم مذكور أن وضع المصطلحات مهمة عسيرة، لأنها "تتطلب تمكناً من المادة وفقهاً في اللغة، والإحاطة بالتاريخ ووقوفاً على النشاط العلمي المعاصر."¹ ولذلك سنورد بعض الشروط ههنا، التي يفترض أن تهيئ التربة المناسبة لصياغة المصطلحات:

- أولاً: فتح باب الوضع للمحدثين.
- ثانياً اعتبار إيجاءات الحروف .
- ثالثاً: اعتبار دلالات البنى.
- رابعاً: اعتبار سنن الإطلاق اللغوي.

01: فتح باب الوضع للمحدثين:

سبق الإيلاس إلى ما كان سائداً، وربما لا يزال لدى المحافظين، من تقديس للغة العربية، نقصد المبالغة في التقديس! وإلى تلك الأطر الزمكانية التي حددوها لأخذ اللغة ممن يوثق بعريتهم، وإغلاق الباب على الحق في الوضع. على ما صرح به أبو حيان في (شرح التسهيل): "العجب ممن يجيز تركيباً ما في لغة من اللغات، من غير أن يسمع من ذلك التركيب نظائر. وهل التراكيب العربية إلا كالمفردات اللغوية؟ فكما لا يجوز إحداث لفظ مفرد، كذلك لا يجوز في التراكيب. لأن جميع ذلك أمور وضعية، والأمور الوضعية تحتاج إلى سماع من أهل ذلك اللسان. والفرق بين علم النحو وبين علم اللغة أن علم النحو موضوعه أمور كلية، وموضوع علم اللغة أشياء جزئية، وقد اشتركا معا في الوضع."²

¹. إبراهيم مذكور، لغة العلم المعاصر، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، السنة 10، العدد: 30، 1986،

ص 10.

². المهر. 35/1.

الأمر الذي جنى - في تقديرنا - على العربية وعلى أهلها، من واقع الضعف الفاحش لدى ورثة العربية المحدثين، والهوة السحيقة التي تطوح بهم بعيداً عن أصولهم القومية. (إنك لا تجني التين من العرقوب) فالمسار الذي اتخذته علماء العربية عموماً، يتحمل قدراً من المسؤولية اتجاه هذا الوضع.

وكأني بالمستشرق (رينهارت دوزي) سبق إلى الثورة على تلك الحدود والقيود، ولم يلتفت إليها، عندما استدرك على المعاجم العربية، بعشرة مجلدات، ضمّنها مطلق العربية على ألسنة الناس في مختلف الأقطار العربية، وبخاصة شمال إفريقيا والأندلس. قال عن المحافظين: "... ولكي يُحوّلوا دون فساد اللغة، وتدنيس قدسيّتها.. فقد أكثروا من وضع القواعد، وتأليف المعاجم، وكتابة الرسائل اللاذعة، جرّحوا فيها الأخطاء الشائعة.. وأرشدوا إلى ما يقال وما لا يقال".¹ - وزعم في المقابل - أن الحاجة ماسة إلى إحصاء وجمع ما طرأ من الألفاظ والمصطلحات العربية، بعد عصر الاستشهاد المزعوم، من لغة الشعب العامة، لدى الفلاحين والتجار والحرفيين والصيادين.. وكذا من لغة العلماء من المؤرخين والجغرافيين والفُصّاص والنباتيين والأطباء والفلكيين..²

ومن الحداثيين العرب ذوي النزعة الثورية ذاتها، في هذا الموضوع - على الأقل - أحمد حسن الزيات. فقد دعا بوضوح وقوة إلى فتح باب الوضع اللغوي وأن للمحدثين حق فيه. متسائلاً عما يملك حق الوضع اللغوي، وعن أسباب حصر العربية في ثالوث مغلق: (عرب مخصوصون - المكان شبه الجزيرة - زمان لا يتجاوز ق4هـ). وعن أسباب استبعاد المحدثين من الحق في الوضع.. ليخلص إلى أن حق المحدثين - عواماً وخواصاً - في الوضع حق طبيعي مطلق.³

¹. تكملة المعاجم العربية. رينهارت دوزي. ترجمة: د. محمد سليم النعيمي. دار الرشيد للنشر. بغداد. 1980. 14/1.

². ر: تكملة المعاجم العربية. 15/1.

³. ر: مجلة مجمع اللغة العربية. القاهرة. 248-223/86.

وقد تمت تزكية هذا الطرح، مع بعض التحفظات، من قبل مجمع اللغة العربية بالقاهرة. من خلال بعض الأبحاث والقرارات، لتتفتح العربية على اللغة العامة في البيت والسوق والشارع.. بتسجيل الألفاظ المستعملة ضمن معجم خاص يسمى: (معجم ألفاظ الحضارة)، تماماً كتفتحتها على لغة العلم والأدب. وذلك بقبول الوضع من المحدثين، وقبول السماع منهم أسوة بالمتقدمين.¹ ونص القرار: "يجوز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم وكذا كان قراره في تفضيل المصطلح العربي القديم على الجديد وجواز استعمال الألفاظ المولدة."² وأصدر بوضوح أكثر "قرارات تُشرع حق المحدثين في الوضع، والأخذ بمبدأ السماع منهم، وإطلاق القياس، ليشمل ما قيس من قبل وما لم يقس، وتكملة فروع مادة لغوية لم تُذكر بقيتها، وجمع المصطلحات الفنية، والبحث في الألفاظ المستعملة في الوزارات والمصانع وغيرها، ودراسة الكلمات الشائعة."³

وعلى سبيل المثال لا الحصر، نجد في (الوسيط) وهو قاموس من إنجاز مجمع اللغة العربية، هذه المادة: (ش.ت.ل): شتل الزرع شتلا. والشتلة: النبتة المنقولة: المِشْتَلُ: الأرضُ يُبْدَرُ فيها البذر، ثم ينقل ليغرس في مكان آخر.. وهذه محدثة. وكأنها أخذت من ألسنة الزرّاع، وأضيفت إلى متن اللغة، تطبيقاً لمبدأ المجمع بفتح باب الوضع للمحدثين.⁴

¹. ر: مجلة مجمع اللغة العربية. 32/19-35. - مجلة مجمع اللغة العربية. 110/8-116. - مجلة مجمع اللغة العربية. 176/68-223.

². مجلة مجمع اللغة العربية. 14/90.

³. مجلة مجمع اللغة العربية. 14/90.

⁴. الوسيط. (ش.ت.ل).

02: اعتبار إحياءات الحروف:

الحروف هي المادة الأساس للبناء اللغوي، ولذلك سميت حروف المباني. ويفترض أنها وحدات حية بالإحياءات، التي تتفاعل مع المتغيرين: المخرج والصفة. وإدراك خصائص الحرف مفردا ومركبا، تحقيق بأن يثري الدرس اللغوي، ويدعم معيارية السعة في فهم الألفاظ المستعملة، ونرجو أن يحقق ذات الأثر مع المهملات والمستنسخات!

لأمر ما اعتقد القدماء والمنجمون والفلكيون والحكماء، أن للحروف خواصا فوق العادة، بين الحرف وخواصه علاقة حتمية، ومناسبة طبيعية!¹ لكن اللغويين تناولوا المسألة بشكل أكثر عقلانية؛ ذلك أنهم درسوها كغيرها من الظواهر اللغوية. والأشبه أن فواتح سور القرآن ذات الأحرف المفككة، هي التي أثارت بواكير النقاش حول عالم الحروف. وهذا يعني أن المادة متضمنة بداءة في التفاسير، ومن ثم أحكام التلاوة والنحو والبلاغة وبشكل خاص في فقه اللغة.. لنذكر مثلا الأبحاث الرائدة للخليل وأتباعه، في تحديد المخارج، وضبط الصفات. والتي ينبغي استصحابها أيضا أثناء عمليات وضع المصطلح. وهي معروفة في مظانها من كتب التراث. وتجدر الإشارة أن مجمل الأبحاث التراثية والحداثية في موضوع الحروف، لم يُقصد بها أن تستثمر في مشروع استنساخ الكلمة لأغراض مصطلحية.

ويؤخذ في الاعتبار أيضا، ما له علاقة باستبطان ظلال الحروف، على نحو ما صنع ابن فارس في (المقاييس)، حيث دأب على ملاحظة دلالات أصول الكلم. وما أولع به ابن جني من تحليلات للأصوات في غير ما موضع من أبحاثه وخاصة (سر صناعة الإعراب) و(الخصائص).² وكذلك إسهامات الباحثين المحدثين في إبراز

¹. ر: المقدمة. 142/1.

². ر الخصائص. 145/2. و152/2.

جوانب مهمة من الموضوع، من خلال أعمال لأمثال عبد الله العلايلي في (تهديب المقدمة اللغوية). وإبراهيم أنيس في (الأصوات اللغوية). والبحث المبكر لحسن عباس (خصائص الحروف العربية ومعانيها).

حقق حسن عباس في (خصائصه) طفرة نوعية في صبغيات الحرف العربي، يقول: "اتبعت.. نهج من قال بفطرية اللغة العربية ممن أجمعوا - صراحة أو ضمنا - على أن معنى الحرف العربي هو (صدى صوته في الوجدان أو النفس). وكان ابن جني أبلغ من عبر عن النظرية اللغوية الفطرية، بمقولته الشهيرة: (سوقا للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المراد)¹ وهو في الواقع انعكاس منمق لمفهوم الحرف لدى ابن جني، في قوله: "الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشففتين مقاطع، تننيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا. وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها، وإذا تفتنت لذلك، وجدته على ما ذكرته لك؛ ألا ترى أنك تبتدئ الصوت من أقصى حلقك، ثم تبلغ به أي المقاطع شئت، فتجد له جرسا ما، فإن انتقلت منه راجعا عنه، أو متجاوزا له، ثم قطعت، أحسست - عند ذلك - صدى غير الصدى الأول..³"

في استقراء عميق، مادته الحروف ضمن الألفاظ، ومعلمه المتعامد المتجانس على حواس ست، في أصول ثلاث، موصولة بمراحل تاريخية محددة، تمكن الأستاذ

¹. النقل كاملا أوضح، ولا يبعد أن يكون الباعث على هذا المشروع الغريب الذي أنجزه حسن عباس، لأنه مختصر في عبارة ابن جني: "وذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف، وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها بها، ترتيبها وتقدير ما يضاهي أول الحدث، وتأخير ما يضاهي آخره، وتوسيط ما يضاهي أوسطه، سوقا للحروف على سمت المعنى المقصود، والغرض المطلوب." الخصائص. 162/2.

². خصائص الحروف العربية ومعانيها. حسن عباس. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق. 1998. 6.

³. سر صناعة الإعراب. ابن جني أبو الفتح عثمان. تحقيق: حسن هندراوي. الطبعة: الأولى. الأجزاء: 2. دار القلم. دمشق. 1985. 6/1.

حسن. ع من وضع تصور متكامل لإيحاءات الحروف، ورصد معانيها. قال: "أغرب ما جاء في هذه الدراسة، هو تصنيف الحواس الخمس والمشاعر الإنسانية في هرم تبدأ قاعدته بالحاسة اللمسية، أشد الحواس كثافة، وألصقها بمادة الأشياء، ثم تليها - صعوداً - على التوالي حواس (الذوق) (فالشَّم) (فالبصر) (فالسَّمع) (فالمشاعر الإنسانية) ولكل واحدة منها فئة معينة من الحروف.¹ مما يبدو إمعاناً وتوسعة في (تذوق) الحروف،² انجلى عن تحديد جملة من خصائص الحروف العربية ومعانيها، بزعم الباحث!³

في الواقع، لا يمكن التسليم بأسس البحث ولا نتائجه، بذات الحماسة الجارفة في روحه الحداثية الجريئة! لأن محل الدرس بالغ الحساسية، ومسؤوليته ينبغي أن تناط بذمة عدد من الباحثين، ويستحسن أن يتم الأمر ضمن هيئة علمية ما. حتى إذا انضبطت إيحاءات الحروف ومعانيها، أمكن الإفادة منها، في مثل ما نحن بصدد، أقصد قضية الحال: استنساخ المصطلحات!

ومع ذلك، يبرِد في الكف - بعد هذا العرض العجول - أن للحروف صفات وإيحاءات ومعان، ذات أبعاد دلالية، تتفاعل وتتماهى في بنية الكلمة، بحيث يكون معناها هو محصلة خصائص حروفها من صفات وإيحاءات ومعان؛ فالألفاظ (الموجبة) ظلال حروفها تنطوي على لين، رهافة، أناقة، جمال، وفعالية.. مثل ذات الكلمات المذكورة للتو. بينما الألفاظ (السالبة) ظلال حروفها تنطوي على غلظة،

¹. خصائص الحروف العربية ومعانيها. 5.

². تذوق الحرف لدى القدماء يتم بتصديره بمهزة مفتوحة، والوقف عليه ساكناً.

³. - الحروف اللمسية: (ت. ث. د. ذ. ك. م.) - خصائص الحروف العربية ومعانيها ص 55...

- ح. الذوقية: (ل. ر.) ص 79... - ح. البصرية: (أ. و. ي. ب. ج. س. ش. ط. ظ. غ. ف.) ص 94...

- ح. السمعية: (ز. ق.) ص 138... - ح. الشعورية: (ص. ض. ن. خ. ح. ه. ع.) ص ...

بلاد، دمامة، قبح، وعطالة.. تماما مثل الكلمات المذكورة للتو. ننقل عن التفتازاني في سياق قريب قوله: "وأن تكون الألفاظ متقاربة في الجزالة والمتانة والرقّة والسلاسة. وتكون المعاني مناسبة للفظها، من غير أن يكسو اللفظ الشريف المعنى السخيف. أو على العكس، بل يصاغان صياغة تناسب وتلاؤم".¹

كما يجب أن يؤخذ في الاعتبار - ما أمكن - مراعاة ما استقرئ من أوضاع العربية في تأليف الحروف، من قبيل ما لخصه السيوطي في باب المعرب:²

- ألا تتوالى نون ثم راء، كما في مثل: (نرجس).
- ألا تختم الكلمة بزاي بعد دال، كما في مثل: مهندز التي عُربت: (مهندس).
- ألا يجتمع فيها الصاد والجيم، مثل: الصَّوْلُجان والحصّ..³
- ألا يجتمع فيها الجيم والقاف، مثل: المنحنيق والجُرْدَقَة والجُوسق والجُوالق والجُلاهق وجَلْبَلَق..⁴

- ألا يجتمع فيها الجيم والطاء. فالطَّاجن والطَّيَّحَن مثلاً من المولّد.
- ألا يخلو الخماسي أو الرباعي من إحدى أحرف الدّلاقة. وهي: (الباء والراء والفاء واللام والميم والنون) مثل: سَفَرَجَل وقُدْعَمِل وقُرْطَعِب وجَحْمَرش..
- ألا يجتمع فيها دال بعدها ذال.. مثل: بغداد.
- الفاء والعين في وزن الكلمة بمثابة الحاضن للمعنى العام للكلمة. فمثلاً مركز معنى (فرق) يكون بين صوتي الفاء والراء.⁵

¹. مختصر المعاني. التفتازاني سعد الدين. دار الفكر. الطبعة: الأولى. 1411هـ. 315.

². ر: المزهري.. 213/1.

³. في التهذيب ما يفيد أن الصاد والجيم مستعملان. ومنه حصّص الجرو: وإذا فتح عينيه. وحصّص فلان إناءه:

إذا ملأه. والصج ضَرَبَ الحديد بالحديد.. ر- تهذيب اللغة. (ج.ص).

⁴. المنحنيق: آلة حربية. الجُرْدَقَة: رغيف. الجُوسق: القصر. الجُوالق: الوعاء. الجُلاهق: البندق. جَلْبَلَق: صوت

البوابة الكبيرة.. ر: - القاموس المحيط. باب القاف. فصل الجيم.

⁵. ر: الخصائص. 155/2.

- العين في وزن الكلمة بمثابة القلب. فينبغي إيلاؤها عناية خاصة أثناء صوغ الكلمة، لأنها أقوى من الفاء واللام، فهما يكتنفانها، فيبتذلان للعوارض دونها من إعلال بالحذف.¹

03: اعتبار دلالات البنى:

بعد الحديث عن الحروف، يمكن الخوض في موضوع الكلمات التي - بطبيعة الحال - تصاغ من بعض تلك الحروف، ليس كيفما اتفق، لا ولا وفق هيئة واحدة، وإنما ضمن بنى معينة. ونقصد بالبنى الأوزان والمثلث العربية المسموعة. وقد لوحظ - بالاستقراء - جملة من الخصائص التي يمكن أخذها بعين الاعتبار، في محاولة صوغ المصطلحات، لضمان أقصى قدر من الجودة في حكم التقييس المثالي. ونحن - في الحقيقة - إنما نسرع بجهد واع، ذات العملية الناجحة أحياناً، فيما يقوم به الضمير الجمعي للناطقين بالعربية، من صناعة الكلمة، بجهد عفوي. وسنورد فيما يلي بعضاً من تلك الخصائص:

أ- نظام الحركات:

وهو أيسرها، ولا خلاف حوله. فمعروف أن الكلمة العربية لا تبدأ بساكن، ولا تنصرم بمتحرك، وأنها إذا تضمنت عدة حركات متواليات، فلا بد من التخفيف بساكن يتخللها. قال الفارابي: "والعرب تميل عن الذي يلزم كلامها الجفاء، إلى ما يلين حواشيه ويرقها. وقد نزه الله تعالى لسانها عما يجفيه، فلم يجعل في مباني كلامها جيماً تجاورها قاف متقدمة ولا متأخرة، أو تجامعها في كلمة، أو صاد أو كاف، إلا ما كان أعجمياً أعرب.. وهذه علة أبواب الإدغام، وإدخال بعض الحروف في بعض، وإبدال بعضها من بعض. وكذلك الأمثلة والموازن، اختير منها ما فيه طيب اللفظ به.

¹. ر: الخصائص. 155/2. - المزهري. 42/1.

وأهمل منها ما يجفو اللسان عن النطق به إلا مكرها، كالحرف الذي يتبدأ لا يكون إلا متحركاً، والشيء الذي تتوالى فيه حركات أربع أو نحو ذلك فيسكن بعضها.¹

والضابط في استقامة نظام الحركات في بنية الكلمة الموضوعة، أن تجري في صياغتها على الأوزان الأسماء المستقرأة من العربية. وقد يقع اللبس في الأفعال غير المسموعة، فتقدّر وفق أشباهها ونظائرها. كما في ضبط عين المضارع من الثلاثي مفتوح العين، فيذهب جمهرة اللغويين والنحاة كأبي زيد والمبرد وثلث وبن درستويه وأبي علي الفارسي إلى ضمه أو كسره فيما لم يشتهر من الأفعال. على أساس أن الكسر والضم يتعاقبان في الفعل الواحد كثيراً.. باستثناء:

- السواثر الجارية على الألسن التي لا يخطئ فيها الناس، مثل: (يجلس ينشُر..).
- السواثر الجارية على الألسن، حلقية العين أو اللام، فالوجه فيها الفتح. مثل: (فَتَح يَفْتَح) (سَبَح يَسْبَح) (وَضَعَ يَضَع) (رَأَى يَرَى) (نَأَى يَنَأَى) ..
- ما كان لمعنى الغلبة، فالوجه فيه بالضم. مثل: (خَصَم يَخْصُم) (لَكَم يَلْكُم) ..
- ما كان فائده واوا، أو عينه أو لامه ياء، فالوجه فيه الكسر. مثل: (وَعَد يَعِد) (بَاع يَبِيع) (رَمَى يَرْمِي) .. وكذلك المضاعف اللازم مثل: (حَسَنَ يَحْسُن) ..

ب- مناسبة الألفاظ للمعاني:

مع أن جنس المعاني مغاير لجنس الألفاظ؛ إذ المعاني فيض عقلي روحاني، والألفاظ أصوات فزيائية،² إلا أنهما متمازجان سداةً ولحمة، بكيفية مركوزة في تركيبة العقل البشري، بحيث لا يمكن تصور انفكاكهما، تماماً كالروح والجسد. وقدما ما

¹. ديوان الأدب. الفارابي أبو إبراهيم. 229.

². عرف الجرجاني المعنى بمجرد المغايرة للكلمة، وأنه يعرف بالقلب. - التعريفات. (معنى) ر: 1425. وقال الكفوي: " المعنى لا يطلق على الصور الذهنية من حيث هي، بل من حيث أنها تُقصد من اللفظ. " - الكليات. 841.

كانوا يقولون: (لكل امرئ من اسمه نصيب).¹ وقد سبق أن إحياء اللفظ هو محصلة إحياءات حروفه. وقد تمكنت هذه اللغة المتطورة الراقية من بلوغ مستوى عال من الانسجام بين اللفظ ومعناه، والتناغم بين تيار الصوت وموار الفكر.

وقد انتبهوا إلى هذه الظاهرة مبكراً؛ قال ابن جني: "فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، فباب عظيم واسع، ونهج مثلب عند عارفيه مأموم. وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها بها، ويحتذونها عليها. وذلك أكثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشعره."² فقد سبق أن أشار إليها الخليل في أبحاثه، فيما يرويه عنه ابن جني أيضاً: "هذا موضع شريف، نبه عليه الخليل وسيبويه وتلقته الجماعة بالقبول. قال الخليل: كأنهم توهّموا في صوت الجندب استطالة ومدا، فقالوا: (صر) في صوت البازي تقطيعاً فقالوا: (صرصر)."³ وفيما يلي شواهد على ذلك السمّت:

- (خضم وقضم) فالخضم لأكل الرطب، أو بملء الفم. والقضم لأكل اليابس، أو بالأسنان. ومنه: "تخضمون ونقضم والموعد الله."⁴ ففي الخاء رخاوة تناسب الرطب، وفي القاف صلابة تناسب اليابس. كما يتناسب مسموع الأصوات مع محسوس الأحداث.⁵

¹ المدخل. ابن الحاج. ت: 737هـ. الأجزاء: 4. دار الفكر. 1981م. 27/2. - الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون. السيوطي جلال الدين. تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن. الطبعة: الأولى. الأجزاء: 2. دار الكتب العلمية. بيروت. 2000م. 189/1.

² الخصائص. 157/2.

³ الخصائص. 41/1.

⁴ نثر الدر. الآبي أبو سعد منصور بن الحسين. تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ. الطبعة: الأولى. الأجزاء: 7. دار الكتب العلمية. بيروت. 2004. 54/2. العبارة هنا لأبي ذر رضي الله عنه. ولأبي الدرداء رضي الله عنه، في الخصائص. 157/2. والمزهر. 42/1.

⁵ ر: الخصائص. 158/2.

- (النضح) بيسير الماء. و(النضخ) بكثيره. ومنه الآية: (فيهما عينان نضاختان)¹ ففي الحاء رقة تناسب الماء الخفيف. وفي الحاء غلظة تناسب الماء الجم.
- (القد) القطع طولاً و(القط) القطع عرضاً؛ لما في الطاء من خفض للصوت وسرعة. وما في الدال من ثقل ومطل..
- (قبضة) باليد، و(قبضة) بالأنامل.²
- الحنن في الكلام أشد من الغنن.
- والأنيت أشد من الأنين والرنين أشد من الحنين
- المصادر بوزن فَعْلان، تفيد الحركة والاضطراب، مثل: غليان، غثيان نقزان.. على أساس أن توالي الحركات يتناسب مع توالي الحوادث.³
- المصادر الرباعية المضعفة تفيد التكرير. مثل: زعزعة قلقله صلصلة فقعقة جرجرة قرقرة..⁴
- الفَعْلَى تفيد السرعة. مثل: بشكى جمزى ولقى..⁵

ذلك وقد عاود الأستاذ إبراهيم أنيس فتح ملف المناسبة قيد الدرس، ليخلص إلى تفنيده جملة وتفصيلاً، متأثراً بمذهب ديوسوسير في الألسنيات الحديثة، القائم على محض الإعتباطية بين اللفظ والمعنى.⁶ اعتباطية العلامة اللغوية

¹. الرحمن: 66.

². ر: القلب والإبدال. ابن السكيت يوسف بن يعقوب. ضمن كتاب الكنز اللغوي في اللسان العربي. تحقيق: أوغست هفتر أستاذ اللغات السامية في كلية فينا. المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين. بيروت. 1903.

33.

³. ر: الكتاب. 403/3.

⁴. ر: الخصائص. 152/2. - المخصص. ابن سيده. تحقيق: خليل إبراهيم جفال. الطبعة: الأولى. الأجزاء: 5.

دار إحياء التراث العربي. بيروت.. 1996م. 200/4. - المزهري. 43/1.

⁵. ر: حاشية الصبان على شرح الأشموني على الألفية. 139/4.

⁶. De Saussure F. Cours de linguistique générale. Entreprise nationale des arts graphiques Reghaia. Algérie. 1991. p110.

(L'arbitraire du signe linguistique) قال: " وهكذا نرى أن ابن جني كان ممن يؤمنون إيماناً قوياً، بوجود الرابطة العقلية المنطقية بين الأصوات والمدلولات. أو ما يسميه بعض المحدثين بالرمزية الصوتية. بل لقد غالى ابن جني في هذا، ومعه الثعالبي صاحب (فقه اللغة).. " ثم يضيف أنها مجرد " تخيلات وتأملات تشبه أحلام اليقظة، عند رجل اشتد ولعه باللغة العربية، فتصور فيها ما ليس فيها، وأضفى عليها من مظاهر السحر ما لا يصح في الأذهان، ولا تتصف به لغة من لغات البشر." ¹ وهو بذلك إنما يضع نفسه في مقابلة عباد بن سليمان الصيمري. ² لأن القدماء تناولوا المسألة باعتدال، مؤسسين أحكامهم على الوقائع اللغوية الثابتة التي تربطها بالطبيعة تناغم في الأصوات وتوافق في الأجراس، دون دعوى الاطراد. وهو ما يزيه كثير من المحدثين، أمثال السادة محمد المبارك ومحمد بوعمامة.. ³ كما أنه ملاحظ في بعض اللغات الأجنبية أيضاً، على ما ذكر ياسبرسين. ⁴

04: اعتبار سنن الإطلاق اللغوي:

أثناء دراسة الكلمات اللغوية أو المصطلحات العلمية، لإبداء الرأي في مدى صلاحيتها فيما صيغت له، وما أُطلقت لأجله، وقبل نشرها للتداول، ينبغي التأكد

¹ من أسرار اللغة. إبراهيم أنيس. الطبعة: الثانية. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة. 1972م. 126.
² من المعتزلة، مذهبه أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية، حاملة للواضع على أن يضع.. ادعى بعض أشياعه أنه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها، فاختبر بكلمة فارسية: (إذغاغ) وتعني الحجر. فقال أنه يجد فيه يسا شديداً.. وأنه الحجر! - ر: المزهر. 40/1.
³ ر: فقه اللغة وخصائص العربية. محمد المبارك. دار القلم. بيروت. 1968. 261. - النات/ منتديات ستار تايمز/ 06. 12. 2009. الصوت والدلالة في ضوء التراث وعلم اللغة الحديث. د. محمد بو عمامة.
⁴ Jespersen o. Language its nature, development and origin. London. 1964. p396-402.

من سلامتها من مخالفة الوضع اللغوي، فلا تكون الكلمة مخالفة لسنن العربية ومقاييس البناء فيها، ولما استنبطه النحاة من أصول وقواعد قياس وغيرها..¹

ونفتح هذا الباب - بشكل خاص - ردا على من يتشددون في المصطلح العلمي خاصة، مطالبين بضرورة أن يصاغ أو يُختار بحيث يصدق في دلالاته على أكثر وأهم مضامين مسماه! وهو حسن، ما كان بغير عسف ولا إلزام. ففي مسارها التطوري عبر التاريخ، نجد العربية مفعمة بأرقى التقنيات الصوتية والدلالية التي تدعم فعالية الوشائج والموات بين الكلمة ومسامها. وعليه يتم إطلاق اللفظ على مسمى ما لأدنى ملابسة. ولنعتبر ذلك بما نجده في القرآن الكريم من أسماء السور؛ فكثير منها أطلق لأجل وروده في ثنايا السورة، ولو بشكل تبعي عابر. كما هو الحال مع: (البقرة، الإسراء، الشعراء، النمل، العنكبوت، الحديد..)

وفيما يلي سنحاول إيراد جملة من تلك التقنيات التعبيرية التي تتمتع بها اللغة العربية فيما أسميناه بسنن الإطلاق اللغوي:

1- مراعاة الجنس:

وهو توافق ضروري بين الاسم والمسمى، حول ثنائية التذكير والتأنيث، بحيث تنطوي صياغة الكلمة غالبا على محدد صوتي لأحدهم دون الآخر. قد يكون في بنية الكلمة برمته، مثل: (آدم، حواء - هو، هي) أو بتغيير على مستوى الحركة، مثل: (أنت، أنتِ) أو بإلحاق (التاء) آخر الكلمة، وجودا وعدما، كما في قوله تعالى: (وما كان لمومن ولا مومنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم)² أو بمحدد معنوي مثل: (مرضع، رزان..)

¹. مجلة مجمع اللغة العربية. القاهرة. 102/81.

². الأحزاب: ٣٦.

2- مراعاة العدد:

وهو توافق ضروري بين الاسم والمسمى، حول الكمية؛ إذ بمجرد إطلاق اللفظ يتبادر معه وفي خنائه، دلالاته العددية، على ما ذكرنا في مبحث الأعداد. ويجدر التنويه ههنا بما تمتاز به العربية من دقة في التصوير العددي، بدءاً بظاهرة المثنى. نقول: (الجلان الصوتيان) قبالة التعبير الفرنسي المبهم عددياً: (les cordes vocaux)

3- مراعاة الحجم:

تعرف العربية أنها لغة اقتصادية، لم لا نقل (قصدية)؛ فحجم اللفظ على حسب حجم المعنى. وكذلك الجملة بالنسبة إلى المقصود بها. كما أنه غالباً ما تُكتب ذات الأصوات المسموعة بلا زيادة. وثمة شيء آخر، وجدناه في بعض الكلمات، وأظن أنه لم يلفت الانتباه من قبل، وهو إطلاق الصياغة مقدودةً ضئيلة الجرم، على المسمى كبير الجرم. كما بين الصوت: (ف ي ل) وذلك الحيوان الضخم! ومثله: (مء) و(ك و ن).. وفي المقابل إطلاق الصياغة مستفيضة كبيرة الجرم، على المسمى ضئيل الجرم. كما بين الصوت: (ع ز ك ب و ت) على تلك الحشرة الهينة! ومثله: (ح ذ ر ف و ت)¹ و(ع ص ف و ر)..

خاتمة:

بناءً على ما سبق ونظائره مما لم تسعفنا الظروف للتعريح عليه، يمكن استبصار منهج واضح ومتكامل لوضع الكلمة في مجال الحياة الحضارية العامة، وأيضاً المصطلح في مجال العلوم، وبخاصة العلوم التي نعاني فيها ضعفاً شديداً على مستوى

¹ . الحذرفوت: قلامه. ر: العباب الزاخر. الصاغاني. (ح ذ ر ف). ر: - تاج العروس. (ح ذ ر ف).

الاصطلاح، كالفيزياء والكيمياء والطب والفلك.. وكذا العلوم التطبيقية كالتعدين والإلكترونيات والحوسبة والاتصالات وغيرها من ضروب الصناعات..

أما فيما يتعلق بألفاظ الحضارة، فإن أيسر مسلك لوضعها دون كبير عناء، أن نلتمسها فيما يضعه أفراد المجتمع؛ في خضم ما يسمى بـ(الدارجة). إن على مستوى قاعدة الهرم الاجتماعي، أو على مستوى الزمر الاجتماعية النشطة، أقصد الحرفيين التجار المقاولين البنائين والناقلين.. فهم أدري من اللغويين بما يحتاجون. ثم إن الكلمة إن حظيت بالقبول، لم تحتج بعدئذ لجهود التسويق والدعاية، لأنها مستعملة أصلاً. وإنما ينصرف الجهد إلى إزالة ما لا يحظى بالقبول من الكلمات. ويتناول اللغويون الكلمة فيعرضونها على شرائط الوضع العربي. فإن انسجمت، وإلا أجري عليها بعض التعديل بالزيادة أو النقص.

وأما ما يخص لغة العلماء، فالأولوية إليهم في وضع مصطلحاتهم، على أن يكون للغويين دور استشاري لتصويب الجوانب اللغوية المحضة. وحيث أن الوضع هنا يتم بجهد واع، من طرف الباحث أو فريق البحث، فالعملية غالباً ما تجنح إلى أيسر أساليب الوضع؛ - اقتراض كلمة مناسبة من بحر اللغة الأدبية، على سبيل الحقيقة العرفية الخاصة. - إطلاق اسم الباحث أو المستكشف.. - استعمال تركيبية رمزية من الحروف و/أو الأرقام، كما في الكيمياء والفلك..

من خلال هذا المقال المتواضع، يمكن رصد النتائج التالية:

- الوضع ظاهرة عملية فعالة لصياغة الكلمات، وآلية ناجعة لتقويم ما سبق وضعه.

- الوضع جعل رمز لغوي دالا على منتج مادي أو أدبي.

- البحوث الكلاسيكية العتيقة في اللغة، لا تستنفد أغراضها بحال.

- الوضع اللغوي غير عقيم، فهو مستمر في إثراء اللغة، بجهد عفوي أو بجهد واع.
- مراعاة للظروف الراهنة، ينبغي تشجيع العمل الجماعي، في القضايا اللغوية الكبرى.
- ضرورة فتح باب الوضع، وإعادة النظر في علاقة العربية باللهجات والدوارج العربية..

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- 01- تاج العروس. تاج العروس من جواهر القاموس. مرتضى الزبيدي محمد بن محمد. تحقيق: جماعة.. الأجزاء: 40. دار الهداية.
- 02- التعريفات. الشريف الجرجاني. تحقيق: إبراهيم الأبياري. الطبعة: الأولى. جزء واحد. دار الكتاب العربي. بيروت. 1405.
- 03- تكملة المعاجم العربية. رينهارت دوزي. ترجمة: د. محمد سليم النعيمي. دار الرشيد للنشر. بغداد. 1980.
- 04- تهذيب اللغة. الأزهري. محمد على النجار. الدار المصرية للتأليف والترجمة. القاهرة.
- 05- التوقيف على مهمات التعاريف. المناوي محمد عبد الرؤوف. تحقيق: محمد رضوان الداية. الأجزاء: 1. الطبعة الأولى.
- دار الفكر المعاصر/ دار الفكر. بيروت / دمشق. 1410هـ.
- 06- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعيد. الأجزاء: 4. المكتبة التوفيقية. القاهرة.
- 07- الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون. السيوطي جلال الدين. تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن. الطبعة: الأولى. الأجزاء: 2. دار الكتب العلمية. بيروت. 2000.
- 08- خزانة الأدب وغاية الأرب. الأزاري أبو بكر الحموي. تحقيق: عصام شعيتو. الطبعة: الأولى. الأجزاء: 2. دار ومكتبة الهلال. بيروت. 1987.

- 09- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. البغدادي عبد القادر بن عمر. تحقيق: محمد نبيل طريفي/إميل بديع يعقوب. دار الكتب العلمية. الأجزاء: 13. بيروت. 1998م.
- 10- الخصائص. الخصائص. بن جني عثمان أبو الفتح. تحقيق: محمد علي النجار. عدد الأجزاء: 3. المكتبة العلمية. القاهرة.
- 11- خصائص الحروف العربية ومعانيها. حسن عباس. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق. 1998.
- 12- سر صناعة الإعراب. ابن جني أبو الفتح عثمان. تحقيق: حسن هندراوي. الطبعة: الأولى. الأجزاء: 2. دار القلم. دمشق. 1985.
- 13- شرح التسهيل. ابن مالك. 672هـ. تحقيق: محمد عبد القادر عطا وطارق فتح السيد. بيروت. الطبعة: الأولى. دار الكتب العلمية. 2001.
- 14- الصاحي. ابن فارس. المطبعة السلفية. القاهرة.
- 15- العباب الزاخر واللباب الفاخر. الصاغاني الحسن بن محمد بن الحسن. ت 650هـ. تحقيق: محمد حسن آل ياسين. دار الرشيد للنشر. بغداد. 1981.
- 16- العين. الخليل. تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي الأجزاء: 8. دار ومكتبة الهلال.
- 17- فقه اللغة وخصائص العربية. محمد المبارك. دار القلم. بيروت. 1968.
- 18- القاموس المحيط. دار المعرفة، بيروت، د.ت.
- 19- الاقتراح. السيوطي. مطبعة المعارف. حيدرآباد. 1310هـ.
- 20- القلب والإبدال. ابن السكيت يوسف بن يعقوب. ضمن كتاب الكنز اللغوي في اللسان العربي. تحقيق: أوغست هفتر أستاذ اللغات السامية في كلية فينا. المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين. بيروت. 1903.
- 21- كتاب سيبويه، عمرو بن عثمان. تحقيق: عيد السلام هارون. الطبعة: 3. الأجزاء: 5. مكتبة الخانجي. القاهرة. 1996.
- 22- الكليات. الكفوي.. الكليات. الكفوي أيوب بن موسى الحسيني أبو البقاء. 1683. تح: عدنان درويش - محمد المصري. ط2. مؤسسة الرسالة. بيروت. 1998.
- 23- اللغة. فندريس. ترجمة: د. الدواخلي ود. محمد القصاص. مطبعة لجنة البيان العربي. القاهرة. 1950.
- 24- المؤنث كالمذكر في ألقاب المناصب والأعمال. محمد شوقي أمين. مجلة مجمع اللغة العربية. القاهرة. 96/32.
- 25- المحكم والمحيط الأعظم. ابن سيده علي بن إسماعيل المرسى. تحقيق: عبد الحميد هندراوي. الأجزاء: 11. الطبعة: الأولى. دار الكتب العلمية. بيروت. 2000م.
- 26- مجلة مجمع اللغة العربية. الأردن. لغة العلم المعاصر. إبراهيم مذكور. عمان. العدد: 30- 1986.
- 27- مجلة مجمع اللغة العربية. القاهرة. الأعداد: 8. 19. 86. 90.
- 28- مختصر المعاني. التفتازاني سعد الدين. دار الفكر. الطبعة: الأولى. 1411هـ.

- 29- المخصص. ابن سيده. تحقيق: خليل إبراهيم جفال. الطبعة: الأولى. الأجزاء: 5. دار إحياء التراث العربي. بيروت. 1996م.
- 30- المدخل. ابن الحاج. ت: 737هـ. الأجزاء: 4. دار الفكر. 1981م.
- 31- المزهر في علوم اللغة وأنواعها. السيوطي. تحقيق: فؤاد علي منصور. الأجزاء : 2. الطبعة: الأولى. دار الكتب العلمية. بيروت. 1998.
- 32- المفتاح في الصرف. الجرجاني عبد القاهر ت: 471هـ. تحقيق: د. علي توفيق الحمد. الطبعة: الأولى. مؤسسة الرسالة. بيروت. 1987.
- 33- المقدمة. ابن خلدون. إدارة المطبعة الشرفية. القاهرة.
- 34- من أسرار اللغة. إبراهيم أنيس. الطبعة: الثانية. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة. 1972م.
- 35- النأت/ منتديات ستار تايمز/ 06. 12. 2009. الصوت والدلالة في ضوء التراث وعلم اللغة الحديث. د.محمد بو عمامة.
- 38- نثر الدر. الآبي أبو سعد منصور بن الحسين. تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ. الطبعة: الأولى. الأجزاء: 7. دار الكتب العلمية. بيروت. 2004م.
- 37- الوسيط. المعجم الوسيط - إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار. دار الدعوة. (مجمع اللغة العربية). القاهرة.
- 38- De Saussure F. Cours de linguistique générale. Entreprise nationale des arts graphiques Reghaia. Algérie. 1991.
- 39- Jespersen o. Language its nature, development and origin. London. 1964.